مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

ما ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب عن مكة المكرمة
دراسة نقدية تاريخية

د. نورا طارق حسن معروف
دكتوراه في التاريخ الإسلامي
كلية الآداب – جامعة بنها
جمهورية مصر العربية

مُلَخّص

يُعَدّ لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني أحد أهم المؤرخين والجغرافيين العرب عبر العصور التاريخية المختلفة ومؤلفاته خير دليل على هذا، فعاش في الفترة من الربع الأخير من القرن الثالث الهجري حتى الثلث الأول من القرن (الرابع الهجري/ التاسع والعاشر الهجريين)، وكتابه صفة جزيرة العرب من أهم ما أثر به الهمداني في علم الجغرافية على مر العصور المختلفة فبه أصبح الهمداني من فحول الجغرافيين الذين ضلعوا في هذا العلم ونقبوا في غرائبه ونوادره. ونطاق هذا البحث موقع مدينة مكة ومدنها وقبائلها ومنازلها وسواحلها وجبالها وشعابها وآبارها وطرقها وأسواقها. والغرض من هذا البحث هو جمع كل ما ذكره الهمداني عن مكة في كتابه الصفة سواء تاريخيًا أو جغرافيًا وعرضه كمادة منسقة متسقة تتسم بالتتالي وإثبات ما هو حقيقي من خلال نقده باتباع المنهج الاستقرائي النقدي. وقد أثبت البحث مدى مهارة ودقة الهمداني التاريخية والجغرافية واللغوية والأدبية، ومدى أهمية كتابه عبر العصور المختلفة. لقد حاولت الباحثة على قدر الإمكان توضيح ما أورده الهمداني عن مكة المكرمة ولو بشكل موجز ومختصر من خلال كتابه صفة جزيرة العرب، حيث استطاع الهمداني إظهار ثقافته وقدراته بذكاء، لكن ما يمكن أن يؤخذ عن الهمداني في كتابه الصفة عند ذكره للبلاد والمدن لم يدرسها بشكل منظم، فعند ذكره لمكة لم يخصص لها بابًا أو فصلاً، بل ما ذكره عنها عبارة عن معلومات متناثرة بين أسطر كتابه.

بيانات المقال:

تاريخ استلام البحث: ٠٢ يوليو ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ٠٧ أغسطس ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

التاريخ الإسلامي؛ تاريخ العرب؛ الهمداني؛ جزيرة العرب؛ مكة المكرمة

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.184647

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نورا طارق حسن معروف. "ما ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب عن مكة المكرمة: دراسة نقدية تاريخية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد التاسع والأربعون؛ سبتمبر ٢٠٢٠. ص ٣١ – ٣٧.

Corresponding author: nouratarek200@gmail.com
Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

لا أحد يجهل مدينة مكة المكرمة ومكانتها وأهميتها الجغرافية والدينية على مر العصور المختلفة، فترجع أهمية مكة إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي كونها تربط بين بلاد الشام شمالاً واليمن جنوبًا، ومحطة القوافل القادمة من البلدين.[١] أما تاريخيًا، فقد أختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد نشأة مدينة مكة فقال البعض إن تاريخ نشأتها يعود إلى منتصف القرن الخامس الميلادي[٢]، والبعض الأخر يرى إن تاريخها يعود للنصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد[٣]، كما يرجحون أن أول من سكنها العمالقة، لما نزل نبي الله إبراهيم زوجته هاجر مع ولده إسماعيل كان موضع بيت الله الحرم عبارة عن ربوة حمراء، فأمر إبراهيم زوجته هاجر أن تتخذ عليه مسكنًا لهما، ثم نبع الله لهما بئر زمزم كما هو معروف، فتفرق العمالقة في البلاد ومن هناك من بقايا قوم عاد، وذهب بنو كركر وهم من العمالقة إلى مكة واستأذنوا هاجر في النزول والمكوث في مكة فنزلوا، ولما علمت قبيلة جرهم الثانية بنزولهم، أتجهوا ناحية مكة واستوطنوها مع إسماعيل بن إبراهيم ومن سبقهم من العمالقة، وكلمهم إسماعيل بالعربية[٤]

وقد أختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد اسم مكة، فيقال سميت مكة: لأنها تُمكُّ الجبارين أي تذهب نخوتهم[٥]، وهى أسم المدينة لأنها تمك أعناق الجبابرة[٦]، ولتمكك الناس بها لازدحامهم بها[٧]، وقال أخرون أن الاسم مشتق من لفظ (مكا) البابلية بمعنى البيت، أما بكة فهو اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها أي يزدحمون بها[٨]، وذكرت في القرآن الكريم باسم بكة[٩]، وأم القرى[١٠]، كما ذكر كثير من المؤرخين أن لها أسماء عدة منها: النساسة والناسة من نسَ بمعنى يبس وأجدب، والباسة لأنها تحطم من استخف بها، وصلاح، والعرش، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ، والمقدسة، وكوثى[١١]

أولاً: التعريف بالهمداني وأهمية كتابه صفة جزيرة العرب وآراء المؤرخين حديثًا به

هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ولد في صنعاء في ١٩ صفر (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وتوفي سنة (٣٣٤ أو٣٣٧هـ/ ٩٤٥م)، فهو من علماء القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) البارزين، وصفه المؤرخين بكونه فقيهًا، لغويًا، فلكيًا، فيلسوفًا، أسهم في إثراء التراث العربي بمؤلفاته، مما جعله في مقدمة علماء العرب والمسلمين البارزين عبر العصور المختلفة.[١٢]

بشكل عام ما وصلنا من مؤلفات الهمداني في مجال التاريخ والأثار تتميز بأنها تجاوزت الخرافات والقصص، فتُعَدّ روايات تاريخية موثوق بها نظرًا لكونه دون كثير منها مما شاهده بنفسه من أثار وبقايا أثرية، أما كتاب -صفة جزيرة العرب- موضوع البحث، فقد طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٨٨٤م، بمطبعة بريل بهولندا بتحقيق: هـ. مولر، ثم حققه مرة ثانية الشيخ محمد بن عبد الله بن بلهيد في (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وأخيرًا حققه علامة اليمن القاضي محمد بن على الأكوع وهي الطبعة الأفضل على الإطلاق بإجماع المؤرخين وهي النسخة التي أعتمد عليها، فطبعت بمكتبة الإرشاد بصنعاء سنة (١٩٩٠م/ ١٤١٠هـ) في (٥١٢) صفحة.

أما عن أراء مؤرخي العصر الحديث في أهمية الكتاب؛ فيقول علامة الجزيرة العربية حمد الجاسر: وما في الكتاب عن اليمن بل كل ما فيه عن الجزيرة، عن سراتها وسكانها ونباتها ولغات أهلها، غير ذلك من المعلومات العامة، تعتبر باعتراف العلماء من خير ما أثير عن المتقدمين ويعبر بوضوح عن غزارة علم الهمداني وإبداعه وتقدمه في كل ضروب العلم وجوانب المعرفة.[١٣]، أما الدكتور/ يوسف محمد عبد الله صرح بـ: لقد استعمل مؤلف صفة جزيرة العرب كل الأدوات العلمية المعهودة في عصره كاستناده إلى الجغرافيين الثقات أو حسن جمعه من المصادر المتباينة، أو تحصيله لمعلومات، أو اعتماده على علوم الأوائل وعلوم العرب معًا، وبذلك استطاع أن يقيم في كتاب واحد كل معارف عصره الجغرافية ومناهجها وهى معارف ومناهج قل أن تُرى إبان ذلك العصر في كتاب واحد.[١٤] وفي موضع آخر يقول: إن الهمداني لم يكن يهدف بالدرجة الأولى في تأليفه إلى تحقيق رغبة في نفسه كإبراز دور بلده كما يبدو ولأول وهلة في الإطار العام لأعماله، وإنما كان رائده العلم بالدرجة الأولى وكتابه – صفة جزيرة العرب – مثال اهتمامات الهمداني الواسعة التي تتخطى حدود الجغرافية الإقليمية إلى مشاهدات جمعها في رحلاته أو معلومات غريبة متنوعة ينثرها بين دفتي كتابه.[١٥]

كما صرح الدكتور عبدا لله الشيبه بـ: فلولا كتابات هذا الباحث اليمنى لبقيت كثير من الأسماء التي جاء ذكرها في النصوص طلاسم يصعب فهمها، إن لم نقل يستحيل فهمها على الدارسين في مجال الحضارة اليمنية، فكثير من أسماء المخاليف التي جاء ذكرها في النقوش لا وجود لها اليوم، إما لتبدل الاسم وبالتالي اختفاؤه مع الوقت، وإما لضمه إلى مخلاف أخر، ومن ثَمَّ ضياع اسمه القديم، ويضيف الشيبه،

"وإنني لا أبالغ عندما أقول، إن الحسن بن أحمد الهمداني يعتبر بحق المصدر الثاني بعد النقوش بالنسبة للجغرافية التاريخية لليمن والجزيرة العربية بشكل عام". وهكذا يتضح لنا إن كتابات الهمداني إلى جانب النقوش يمكن اعتبارها في التحليل الأخير المادة التي يجب الاعتماد عليها ليس فقط لرسم خريطة لجغرافية اليمن القديم، بل وأيضًا في فهم تاريخ اليمن القديم.[١٦]

أما المستشرقون، فقد أبدوا هم أيضًا برأيهم في كتاب صفة جزيرة العرب، فصرح أ. شبرنجر بـ: إن الصفة إلى جانب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي يعتبران أهم عملين جغرافيين قدمه العرب.[١٧] أما أرنلهيد شولتن، فصرح بـ: إن كتاب الصفة هو أول عمل علمي في القرن العاشر الميلادي، يحوي مادة جغرافية محددة المعالم واضحة الإطار في عصر لم يكن علم الجغرافيا علمًا قائمًا بذاته، وإنما كان يصدر عن عمل الشعر الذي كان يقوم بدور المصدر والشاهد معًا دون أن يكون هناك ميل إلى أي تصور جغرافي منظم.[١٨] أما كريستان روبان فصرح بـ: تشكل أعمال الهمداني مصدرًا وفيرًا وفريدًا من نوعه لمَنْ يبغى القيام بدراسة تاريخية لليمن، إذ ليس من مؤلف إسلامي يضاهيه لا من حيث جودة معلوماته حول جنوبي الجزيرة العربية، ولا من حيث وفرتها.[١٩]

ثانيًا: ما جاء عن مكة ومناطقها في صفة جزيرة العرب

بداية يجب القول، إن ما أورده الهمداني في كتابه الصفة عن مكة المكرمة، ذكره في مواضع متفرقة بين أسطر كتابه، بداية من الموقع الجغرافي والجبال والقبائل والطرق والآبار حتى السواحل، وسأذكر فيما يل كل معلومة ذكرها موضحة موضعها من كتاب الصفة:

١/٢-موقع مكة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض (الموقع الجغرافي)

لم يهمل الهمداني ذكر الموقع الجغرافي لمكة في كتابه _ صفة جزيرة العرب – لكن بمواضع متفرقة من الكتاب، فذكر إن هذه الجزيرة – جزيرة العرب – تقع على اشرف الأقاليم في موسطها، وصار فيها ما تشامتها الشمس والكواكب الجارية مرتين في الثور والأسد، وفي الجوزاء والسرطان وهى أقرب العمران من خط الاستواء، وهى تحت برج من بروج البأس[٢٠]، ووصف مكة بانها تقع على خط طول من المشرق إلى المغرب مع الفتق والطائف ومكة[٢١]، وانها في غربي الفتق[٢٢] كما وصف مكة بانها وادى للطائف (ثم سراة الطائف وغورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ)[٢٣]، ووصفها بانها ضمن أراضي تهامة آنذاك (ووادي رحمه وأسفل عرنه ومكة وأحوازها لقريش وخزاعه)[٢٤]، ووصفها بانها على الطريق بين جرش وصعدة (ثم طلعت في وادى النحر إلسروم والجمرة ووقعت في محجة مكة)[٢٥]، كما صنف موقع مكة بالنسبة للأقاليم الستة التي صنفها هرمس، بانها تقع في الإقليم الثاني وهو إقليم الحجاز واليمن: (ويمر الإقليم الثاني على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما ذكرناه، وابتداؤه من المكان الذى انتهت إليه ساعات الإقليم الأول إلى حيث يكون نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة..... ووسط هذا الإقليم بتهامة من أرض العرب.....، وابتدأوه من المشرق من بلاد الصين فيمر ببلاد الهند والسند إلى حيث يلتقي البحر الأخضر – يريد بحر الزنج – وبحر البصرة – ويقطع جزيرة العرب ومكة والحجاز)[٢٦]

كما أوضح لنا رأى بطليموس في وصفه لمكة بأنها من أجزاء الشمال، ووصفها بانها تقع في الدائرة الموازية السادسة (وهى التي يصير مبلغ أطول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة وربعًا من ساعات الاستواء وبعد هذه الدائرة من معدل النهار عشرون جزءًا واربع عشرة دقيقة، وترسم مارة بالمواضع المسماة "نابطو" يريد أجزاء الإقليم الأول فيما شارف مكة)[٢٧]، وبما أن مكة المكرمة من ضمن أراضي الحجاز فوصفها بانها ضمن الدائرة الموازية السابعة (هي التي يصير مبلغ طول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة ونصفًا من ساعات الاستواء.....، وهى سمت أقصى الليل وترسم مارة بالجزيرة المسماة "سوينى" يريد الحجاز)[٢٨]، كما أن الهمداني ذكر الآراء المختلفة في تحديد بداية ونهاية الأقاليم، وهنا جعل مكة في الإقليم الأول (فإما قياس طوله لبطليموس فيحقق ما قال حساب صنعاء، وأما قياس طول المأمونى فقد يخالفهم شيئًا، وهذا دليل على أن وسط هذا الإقليم وادى نجران من ارض اليمن ومكة أخره اليمن).[٢٩]

٢/٢-الموقع بالنسبة لمجموعات الكواكب وأثر حركاتها

لم يهمل الهمداني ذكر موقع مكة بالنسبة لمجموعات الكواكب والفلك، صحيح انه لم يخصص لهذا بابًا أو فصلاً في كتابه -صفة جزيرة العرب- فذكرها ضمن تسلسل الأحداث (ما أتى عن بطليموس القلوذي في طبائع أهل العمران من الأرض على الجملة.....)[٣٠]، ثم قسم مجموعات الكواكب إلى ثلاثة مجموعات يهمنا منها ما يخص مكة، فصرح بـ (فالخيبة الأولى ما كان من خط الاستواء تحت مجاري الكواكب إلى مسامته

منقطع الميل من رأس السرطان وذلك سمت ما بين مكة والمدينة وما حاذاه).[٣١]

كما لم يهمل ذكر أثر الكواكب وتداخلها، فأورد تحت عنوان رئيس: ما أتى به بطليموس القلوذى في طبائع أهل العمران من الأرض على التبعيض والتجزئة[٣٢]، ثم يذكر بعنوان فرعى معرفة ما انفرد به عطارد من هذه القسمة، فيذكر أثر كوكب عطارد وطباعه (واستولى عطارد على الوسط لقصر وتره وتوسط طباعه بين طبائع الكواكب مرة نحسًا ومرة سعدًا، ومرة مذكرًا ومرة مؤنثًا ومرة نهاريًا ومرة ليلاً ونحوه، ولان بيته الجوزاء على الوسط من العمران وسامت البيت ما بين مكة والمدينة فأظهر في هذا الموضع العجيب وجاء بالحكمة وفتح أبواب العلم من الذكاء والدهاء وخفة الأرواح والحركات ورقة حواشي الألسن وتوقد القلوب في أشياء يتصل ذكرها بذكر ما دخل من الأرباع في الوسط فاشتركت فيه طبائع المثلثات).[٣٣]

٣/٢-مساحة مكة ومدنها (مواضعها)

أورد الهمداني مساحة مكة المكرمة في موضعين من الكتاب مستخدمًا الإسناد، الموضع الأول: (وعرض مكة عن الفزارى ثلاث و عشرون درجة وثلث، وعن حبش إحدى وعشرون درجة وطولها عن الفزارى مئة وست عشرة درجة من المشرق وعن حبش مئة وعشرون درجة)[٣٤]، أما الموضع الثاني: أثناء ذكره للمسافة بين مر ومكة (ومن مر إلى مكة ثلاثة عشر ميلاً، وعرض مكة احد وعشرون جزءًا)[٣٥]، أما (مواضع) مدن مكة فأورد في ثلاثة مواضع، الموضع الأول: (وإدام من أحواز مكة[٣٦]، الموضع الثاني (وكذلك ذو طوى والعير والعيرة وكدى وكداء والفرش والبرك وعزور من أحواز مكة)[٣٧]، الموضع الثالث (وذو طوى موضع وذو طوى موضع بمكة أيضًا)[٣٨].

٤/٢-القبائل والمنازل

ذكر الهمداني قبائل مكة المكرمة في ست مواضع فقط من الكتاب، الموضع الأول (من أربعة مضر وربيعة وأياد وانمار، فكثر أولاد معد بن عدنان بت أدد ونمو، وتلاحقوا ومنازلهم مكة وما ولاها من تهامة)[٣٩]، الموضع الثاني (قريش وخزاعة)[٤٠] لكن من الملاحظ انه ذكر قبيلة خزاعة في ثلاثة مواضع[٤١]، كما ذكر الحناطين والجزارين[٤٢]، والازد[٤٣]، أما المنازل: فأورد موضع واحد فقط (منازل هذيل: عرنه وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب .....).[٤٤]

٥/٢-السواحل والجبال والشعاب والآبار

ذكر الهمداني ساحل واحد فقط لمكة، فصرح بـ: (جده ساحل مكة[٤٥]، أما الجبال فذكر الهمداني كثير من الجبال في مكة في أربعة مواضع متفرقة، الموضع الأول: (غزوان جبل عرفة العالي، ثم طلعت الجبال بعد منه وكان منها الأبيض جبل العرج وقد س وأره والأشعر والأجرد وهذه جبال من بين مكة والمدينة عن يمين الخارج من مكة إلى المدينة ويسار الصادر إلى مكة وقد ذكرت العرب الحجاز و..... وتهامة ونجد)[٤٦]، والموضع الثاني (منى بمكة غير منونة من منى الأديم عطته)[٤٧]، الموضع الثالث (وكبكب جبل أحمر في رأس عرفه)[٤٨]، الموضع الرابع (حراء وتبير جبلان في اعلى مكة)[٤٩]

أما الشعاب؛ فأورد الهمداني في ثلاث مواضع متتاليين (وشعب الدرة حيث مسجد المزار وهو أول الأبطح، وشعب الخوز بمكة يكون فيه البياعون، وخرما بمكة)[٥٠]؛ أما الآبار فذكر في ثلاثة مواضع؛ الموضع الأول (وأقدم آبار الأرض بئر سام بن نوح بصنعاء وبئر ميمون بمكة .....)[٥١]؛ الموضع الثاني (وبئر أهل مكة القديمة واحتفره ميمون بن قحطان الصدفي)[٥٢]، الموضع الثالث (على بطن طريق مكة، النضرية ماء عذب)[٥٣]، أما البرك، فأورد الهمداني موضع واحد فقط (والفوارة على مظهر الغيل الذي يصب إلى بركة زبيدة بمكة وعلى الفوارة بناء عظيم بنته زبيدة بنت جعفر بن المنصور امرأة هارون وأم الأمين).[٥٤]

٦/٢-الطرق والتجارة والأسواق والأطعمة

لم يهمل الهمداني هذا الجانب أيضًا، بل أمدنا بكثير من المعلومات عن الطرق بين مكة وغيرها من المدن، الموضع الأول: ذكر فيه الطريق بين صنعاء ومكة (محجة صنعاء إلى مكة طريق تهامة: من صنعاء صليت من البون ثم الموبد ثم أسفل العرقة واخرف ثم الصرحة ثم راس الشقيقة ثم حرض ثم الخصوف من بلد حكم ثم الهجر ثم عثر ثم بيض ثم زنيف ثم ضنكان ثم المعقد ثم حلى ثم الجوثم ... ثم الخيال ثم إلى يلملم ثم ملكان ثم مكة هذه طريق الساحل والمحجة القديمة ترتفع إلى حُلى العليا.....)[٥٥]، الموضع الثاني من جرش إلى صعدة: (ثم تخرج من جرش قصد صعدة على بلد جنب في سعيًا وادي بنى بشر ذي أعتاب وزروع وأسفل أنيس ثم وادي طرطر ثم وادي منبع ثم جزعت منه في وادى نحيان ومنها الكبيبة والجبل الأسود..... إلسروم والحمرة ووقعت في محجة مكة)،[٥٦] الموضع الثالث طريق وادى النعمان (ثم الطائف مدينة قديمة جاهلية..... وبين الطائف وبين عرفة وادي النعمان وفيه طريق الطائف المختصرة إلى مكة)[٥٧]، كما ذكر المسافة بين مكة ومر وقدرها بثلاثة عشر ميلاً[٥٨]، والمسافة بين مكة وصنعاء قدرها باثنان عشرون مرحلة[٥٩].

أما التجارة بين مكة وغيرها من المدن، فأورد الهمداني في موضعين، الموضع الأول مصرحًا بـ: (انظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة يأكلون سفرهم....)[٦٠]، والموضع الثاني (ومولد الخيزران أم موسى الهادي والرشيد بنجران، ثم بيعت إلى جرش ثم إلى مكة)[٦١]، أما عن الأسواق، فذكر الهمداني أسواق مكة في موضعين، الموضع الأول (الجريب وهو سوق عظيم لأهل تهامة ومكة وعثر وجميع بلدان همدان)[٦٢]، الموضع الثاني (سوق مكة)،[٦٣] أما عن أشهر أطعمة أهل مكة، فصرح في موضع واحد بـ (الشهد الحضوري يهدى إلى العراق ومكة وسائر البلدان في القصيب).[٦٤]

ثالثًا: منهج الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب من خلال ما أورده عن مكة

بداية استخدم الهمداني المنهج الموضوعي في سرده لكتابه صفة جزيرة العرب؛ مع بعض الأدوات أو الأساليب المختلفة في سرده لمعلوماته ومنها:

١/٣-أثبات كلامه بالأحاديث النبوية: أراد الهمداني إثبات ما يورده من معلومات عن مكة المكرمة بذكر الأحاديث النبوية الدالة على كلامه في موضع واحد فقط لما يورده عن مكة، (ولذلك قال رسول الله (ﷺ) لعتاب بن أسيد (انى مستحلفك على أل الله).[٦٥]

٢/٣-التصريح بالاعتماد والنقل من مصادر أخرى: كقوله (ما أتى عن بطليموس من تفصيل أجزاء شق الشمال)[٦٦]، (معرفة قسمة الأقاليم لهرمس الحكيم)[٦٧]، (ما أتى عن بطليموس القلوذى في طبائع أهل العمران من الأرض على الجملة).[٦٨]

٣/٣-ذكره للآراء والروايات المختلفة للرواية الواحدة: كذكره الآراء المختلفة حول طول وعرض الأقاليم، كقوله (اختلاف الناس في العرض والطول أما العرض فإن الناس مَنْ يعد الإقليم الأول من حد وتر خط الاستواء إلى اقصى حده من الشمال ومنهم مَنْ يجعل البحر الزنجي حاجزًا بين الإقليم الأول وبين وسط خط الاستواء)[٦٩]، وفي موضع آخر (وعرض مكة عند الفزارى ثلاث وعشرون درجة وثلث، وعن حبش إحدى وعشر درجة وهو اقمن، وطولها عن الفزارى مئة وست عشرة درجة من المشرق وعن حبش مئة وعشرون).[٧٠]

٤/٣-استخدامه الإسناد: استخدم الهمداني الإسناد في ذكره لبعض المعلومات، مصرحًا بـ (باب ما جاء عن ابن عباس رحمه الله تعالى في ذكر جزيرة العرب: أما حديث عبدالله بن عباس في جزيرة العرب فانه ما نقل لنا عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس من وجه وعن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي أنه سمع عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب وسأله رجل من ولد نزار بن معد قال:.....)[٧١] استطيع أن اسند هنا أيضا استناده على السماع أي على الروايات الشفوية، فصرح بـ: (قال أبى رحمه الله وقد دخلت الكوفة وبغداد ....)[٧٢]، (وقد سمعت لرجل من البصرة).[٧٣]

٥/٣-تفسيره أو توضيحه لمعنى بعض الكلمات أو الألفاظ: من اهم ما لوحظ في كتاب الصفة للهمداني توضيحه لمعنى بعض الكلمات، كقوله (محجة العراق في هذه الجزيرة إلى مكة يسمى كل طريق يكثر الاختلاف عليه محجة لأن موضع المباني والمرور من الأشياء محجوج)[٧٤]، (وهي سمت اقصى الليل، وترسم مارة بالجزيرة المسماة –سوينى- يريد الحجاز)[٧٥]، (وترسم مارة بالمواضع المسماه -ناباطو- يريد أجزاء الإقليم الأول فيما شارف مكة).[٧٦]

٦/٣-تسجيله للنصوص الأدبية (شعر، حوارات): حرص الهمداني على ذكر كثير من الأبيات الشعرية أثناء سرده لما يورده من معلومات، ولسنا هنا بصدد ذكر كل ما أورده لكنى اذكر ما أورده بشكل موجز عن مكة، كقوله:

رب إياك نحن ندعو ونرجو ولنا أنت ذا الجلال الرجاء
فاستجب ربنا فإنك لا يحجب للسائلين عنك الدعاء
كل منها جبال مكة حتى هي مثل الرياض حضر رواء[٧٧]

كما نجد أن الهمداني لم يهمل تسجيل الحوارات من خلال ما ذكره عن مكة، فأورد حوار (وكان الفضال الدليل يقول: ثلاثة أشياء لا يسع فيها إلا الجد والانكماش دون الرخرخة والفتور، فيقال له: وما هي يا أبا يوسف؟ فيقول: مباغضة العجوز وأكل اللحوح باللبن).[٧٨]

خَاتِمَةٌ

لابد من القول إنه يوجد من مؤرخي العصر الحديث مَنْ قاموا بدراسة منهجية الهمداني في كتابه الصفة موضوع البحث من قبلي، ومنهم الدكتور عبد الله الشيبه الذي صرح بـ: أن الهمداني بصورة عامة لم يكن منظمًا من الناحية المنهجية في كتابه "صفة جزيرة العرب" على الرغم من دقته في القسم الثاني من الكتاب الخاص بالجغرافيا[٧٩]، لكنني أثناء عملي في هذا البحث أستطيع أن أسرد بعض ما يمكن أن يؤخذ عن الهمداني في كتابه الصفة، وهي أن الهمداني عند ذكره للبلاد والمدن لم يدرسها بشكل منظم، فعند ذكره لمكة لم يخصص لها بابًا أو فصلاً، بل ما ذكره عنها عبارة عن معلومات متناثرة بين أسطر كتابه الصفة أثناء سرده لجغرافية اليمن وخصائصها بشكل عام دون تفصيل باستثناء القليل منه.[٨٠]

لقد حاولت الباحثة على قدر الإمكان توضيح ما أورده الهمداني عن مكة المكرمة ولو بشكل موجز ومختصر من خلال كتابه صفة جزيرة العرب، الذي يُعَدّ من أهم الكتب التاريخية والجغرافية على مر العصور المختلفة، حيث استطاع الهمداني إظهار ثقافته وقدراته بذكاء، فاثبت أن لديه قدرات وصبر وقدرة على التحمل فأوضح القاضي الأكوع إن الهمداني أول مَنْ أستطاع التفرقة بين سرعة الصوت والضوء.[٨١]

الاحالات المرجعية:

(١) حسن معمري: **مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص١٢.

(٢) علي إبراهيم حسن: **التاريخ الإسلامي العام**، مكتبة النهضة المصرية ووكالة المطبوعات الكويتية،١٩٧٢، ص٩٦.

(٣) محمد بيومي مهران: **تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص٣٩٧:٣٩٨.

(٤) المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: يوسف اسعد، دار الأندلس بيروت، ط١، ١٩٦٥م، ج٢، ص٤٦.

(٥) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، منشورات مكتبة الأسدي، ١٩٦٥م، مج٤، ٦١٦.

(٦) ياقوت الحموي: نفس المصدر، مج٤، ص٦١٦.

(٧) البغدادي: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية ،١٩٥٥، ط١، ج٣، ص١٣٠٣.

(٨) ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون، مكتبة البابى مصر، ١٩٥٥م، ط٢، القسم الأول، ص١١٤.

(٩) **القرآن الكريم**: سورة آل عمران، الآيتين ٩٦:٩٧.

(١٠) **القرآن الكريم**: سورة الأنعام، الآية ٩٢.

(١١) حسن معمري: **مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد**، رسالة ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص١١.

(١٢) يوسف محمد عبد الله: **الهمداني وكتابه صفة جزيرة العرب "دراسات في ذكراه الألفية"**، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٦م، ص١٠. عارف المخلافي: "**زيارة الهمداني لمناطق تعز باليمن في ضوء كتابه صفة جزيرة العرب**" (مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد ٣٩، يناير ٢٠١٤م) ص١٠٩.

(١٣) حمد الجاسر: **ترجمة الهمداني تقديم لكتاب صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن على الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء ،١٩٩٠م، ص٢٢.

(١٤) يوسف محمد عبد الله: **مقدمة كتاب الهمداني وكتابه صفة جزيرة العرب:** "دراسات في ذكراه الألفية"، مرجع سابق، ص١٠.

(١٥) يوسف محمد عبد الله: **أوراق في تاريخ اليمن وأثاره**، بحوث ومقالات، ط٢، صنعاء ،١٩٩٠م، ص١٤٨.

(١٦) عبد الله حسن الشيبه: **أهمية الهمداني للجغرافية التاريخية لليمن القديم، في كتاب الهمداني لسان اليمن:** "دراسات في ذكراه الألفية"، تحقيق: يوسف محمد عبد الله، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٦م، ص ٧٩:٨١.

(١٧) عبد الله الشيبه: نفس المرجع، ص٧٢.

(١٨) يوسف محمد عبد الله: **أوراق في تاريخ اليمن** "الهمداني وكتابه صفة جزيرة العرب"، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(١٩) كريستيان روبان: **نبذة في الجغرافية التاريخية وفقًا لمعطيات الهمداني في كتاب "الهمداني لسان اليمن دراسة في ذكراه الألفية"**، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢٠) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن على الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط١٩٩٠،١م، ص٤١.
(٢١) الهمداني: نفس المصدر، ص ٣٠٣.
(٢٢) نفس المصدر، ص ٣٠٢.
(٢٣) نفس المصدر، ص١٣١.
(٢٤) نفس المصدر، ص٢٣٣.
(٢٥) نفس المصدر، ص٢٣٥.
(٢٦) نفس المصدر، ص٤٧.
(٢٧) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، مصدر سابق، ص٥٠.
(٢٨) الهمداني: نفس المصدر، ص٥٤.
(٢٩) نفس المصدر، ص٦٤.
(٣٠) نفس المصدر، ص٦٦.
(٣١) نفس المصدر، ص٦٦.
(٣٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٦٨.
(٣٣) الهمداني: نفس المصدر، ص٨٠.
(٣٤) المصدر نفسه ص٨٢.
(٣٥) المصدر نفسه، ص٣٠١.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٩٠.
(٣٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٩٤.
(٣٨) الهمداني: نفس المصدر، ص ٣٨٥.
(٣٩) نفس المصدر، ص٨٣.
(٤٠) نفس المصدر، ص ٢٣٣.
(٤١) نفس المصدر، ص ٢٣٣،٣٣٠،٢٩٥.
(٤٢) نفس المصدر، ص٢٣٧.
(٤٣) نفس المصدر، ص ٣٢٨.
(٤٤) نفس المصدر، ص ٢٨٨.
(٤٥) نفس المصدر، ص ٨٤.
(٤٦) نفس المصدر، ص٨٦.
(٤٧) نفس المصدر، ص٢٩١.
(٤٨) نفس المصدر، ص ٢٩٤.
(٤٩) نفس المصدر، ص ٣٩٠.
(٥٠) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، مصدر سابق، ص ٣٩٠.
(٥١) الهمداني: نفس المصدر، ص ٢٤٢.
(٥٢) نفس المصدر، ص٣٩٠.
(٥٣) نفس المصدر، ص ٢٦٤.
(٥٤) نفس المصدر، ص ٣٩٠.
(٥٥) نفس المصدر، ص ٣٠٣:٣٠٤.
(٥٦) نفس المصدر، ص ٢٣٥.
(٥٧) نفس المصدر، ص ٢٣٣.
(٥٨) نفس المصدر، ص ٣٠١.
(٥٩) نفس المصدر، ص ٣٠١.
(٦٠) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، مصدر سابق، ص ٣١٥.
(٦١) الهمداني: نفس المصدر، ص ٣٦٤.
(٦٢) نفس المصدر، ص ٢٢٤.
(٦٣) نفس المصدر، ص ٢٩٦.
(٦٤) نفس المصدر، ص ٣١٧.
(٦٥) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، مصدر سابق، ص٤١.
(٦٦) الهمداني: نفس المصدر، ص ٥٠.
(٦٧) نفس المصدر، ص ٤٤.
(٦٨) نفس المصدر، ص ٦٦.
(٦٩) نفس المصدر، ص٦٤.
(٧٠) نفس المصدر، ص ٨٢.
(٧١) نفس المصدر، ص٨٣.
(٧٢) نفس المصدر، ص ٣١٩.
(٧٣) نفس المصدر، ص٣٥٣.
(٧٤) نفس المصدر، ص ٢٩٩.
(٧٥) نفس المصدر، ص ٥٤.
(٧٦) نفس المصدر، ص ٥٣.
(٧٧) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص٣٣٧، انظر أيضًا ص ٣٤٥، ٣٨٩.
(٧٨) الهمداني: نفس المصدر، ص٣٠٣.
(٧٩) عبد الله الشيبه: **الهمداني وكتابه صفة جزيرة العرب** (مجلة الإكليل، العدد ٢٧، صنعاء، ٢٠٠٢م) ص ١١:١٢.
(٨٠) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، مصدر سابق، ص٣٩٠.
(٨١) محمد بن على الأكوع: **لسان اليمن الهمداني وأولياته التي تفرد بها**، كتاب الهمداني، تحقيق: يوسف عبد الله، مرجع سابق، ص ١١٤.